العرب
الأربعاء 2019/07/24
السنة 42 العدد 11417

الأزمة بين واشنطن وطهران تتأرجح بين الحرب والدبلوماسية

تجربة حرب الناقلات في الثمانينات تؤكد أن خطة ترامب لتأمين السفن في الخليج لن تردع إيران

تسلط الأحداث الأخيرة والهجمات التي شهدتها الناقلات عبر الخليج الضوء على خطر التصعيد واحتمال نشوب صراع بين الولايات المتحدة وإيران. وستحدد الجهود الأميركية الرامية إلى حماية الناقلات والعقبات التي من شأنها تعطيل هذه العملية ما إذا كان يمكن تجنب صراع أكبر من شأنه أن يخلف نتائج إقليمية وعالمية أوسع.

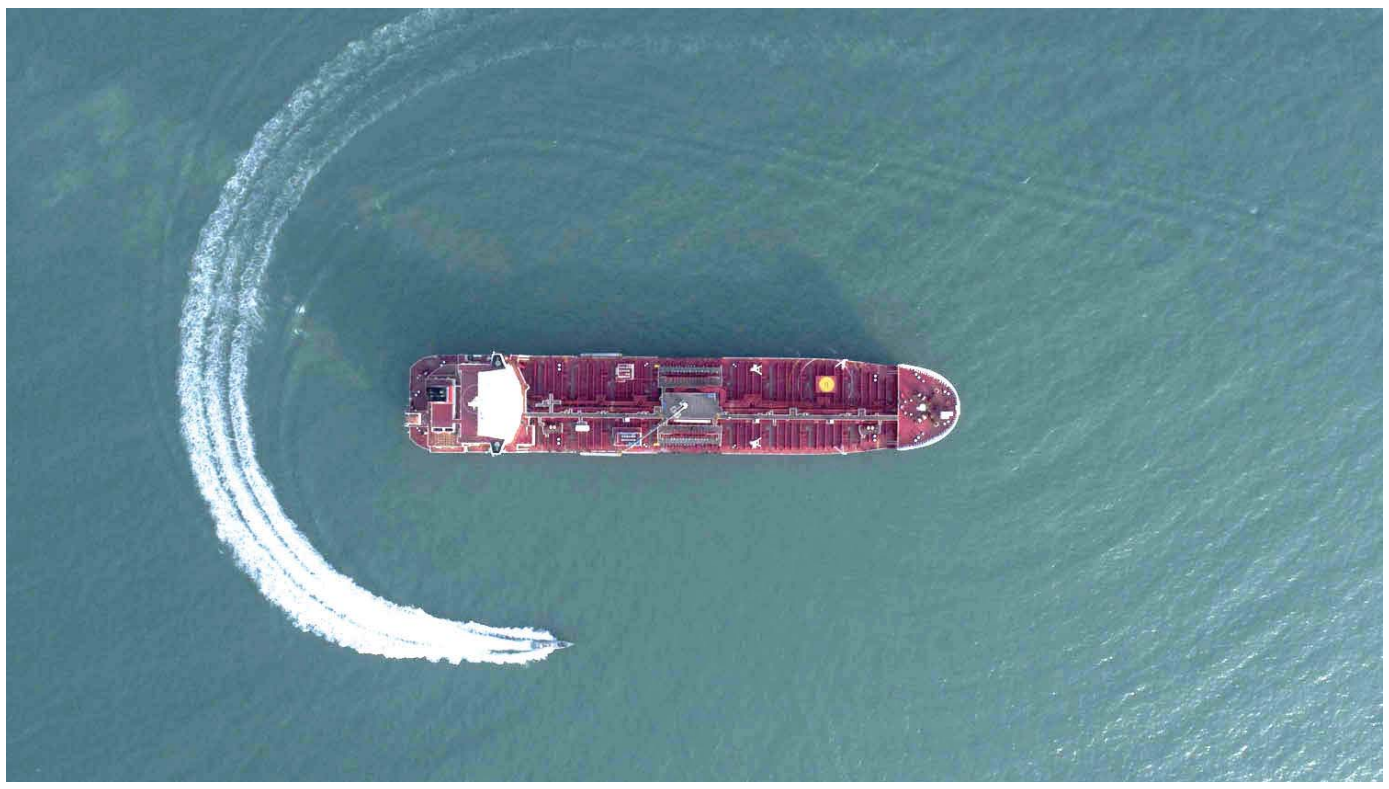

واشنطن - تتأرجح الأزمة القائمة بين واشنطن وطهران بين الحرب والدبلوماسية، حتى أن دونالد ترامب نفسه قال "إن الأمور بكل بساطة قد تتجه نحو هذا الخيار أو ذاك"، إلا أن الأكيد أن الإستراتيجية الأميركية تبقى غير واضحة المعالم، وخيارات واشنطن باتت محدودة لوقف التصعيد القائم.

وتقول سوزان مالوني، الباحثة في مؤسسة بروكينغز للتحليل في واشنطن، "وصلت إدارة ترامب إلى مفترق طرق بشأن ما عليها اتخاذه من قرارات"، مشيرة إلى أن ترامب "يواصل اندفاعه في تطبيق سياسة العقوبات الأقصى" على إيران، لكن هذه السياسة وفي خضم التوترات القائمة منذ ثلاثة أشهر، لا تبعد شبح المواجهة العسكرية المباشرة.

وفي ظل التصعيد المتواصل، خاصة من الجانب الإيراني، لم يقدم ترامب جوابا مطمئنا للذين يطالبون بالمزيد من الوضوح في إدارة إحدى أخطر الأزمات الدولية في الوقت الحاضر. واختصر الرئيس الأميركي موقفه بعبارة "الخياران يناسباننني"، وقد واصل فرض عقوبات على إيران تزداد شدة، لكنه في الوقت نفسه كرر الدعوات إلى الحوار مع القادة الإيرانيين.

باربرا سلافين

دونالد ترامب وضع نفسه في وضع معقد

سوزان مالوني

إيران تحاول اختبار «الخطوط الحمر» الأميركية

إلا أن القادة الإيرانيين رفضوا الدخول في حوار تحت الضغط. وتكررت الحوادث بين الطرفين في منطقة الخليج: إسقاط طائرة مسيرة، ثم هجمات غامضة على ناقلات نفط، ثم تبادل ضبط ناقلات نفط بين طهران ولندن.

وتعتبر سوزان مالوني أن إيران تحاول اختبار "الخطوط الحمر" الأميركية. فالرئيس الأميركي ذهب إلى حد القول "نحن مستعدون للأسوأ على الإطلاق"، لكنه في الوقت نفسه أكد على رغبته في تجنب تدخل عسكري في الخليج.

صورة ضعف

كشف ترامب في يونيو الماضي أنه ألغى في آخر لحظة توجيه ضربات عسكرية ردا على قيام طهران بإسقاط طائرة مسيرة أميركية. وتعتبر باربرا سلافين، المحللة في مجلس اتلانتيك للتحليل في واشنطن، أن مثل هذه المواقف "عكست صورة ضعف للولايات المتحدة"، والخطورة تكمن في مواصلة الأحداث التي يمكن أن تؤدي إلى نزاع لا أحد يريده من حيث المبدأ.

والمشكلة في نظر باربرا سلافين أن دونالد ترامب وضع نفسه في وضع معقد عندما انسحب العام الماضي من الاتفاق النووي الموقع مع إيران عام 2015 والذي يمنع إيران من صنع قنبلة نووية، من دون أن يكون له تصور لما بعد هذا الانسحاب.

وتابعت مشيرة إلى أن "التصعيد الإيراني كان متوقعا خاصة عندما تقرر في نوفمبر الماضي وقف الاستثناءات التي كانت تتيح لإيران تصدير قسم من نفطها" إلى عدد من الدول بينها الصين والهند. ويعتبر العديد من الخبراء والدبلوماسيين أن طهران إنما تبغي من وراء هذا التوتر الحصول على "نفحة أوكسجين" اقتصادية لأن العقوبات الأميركية تخنق البلاد فعليا.

ويضيفون أن إفساح المجال أمام إيران لتصدير البعض من نفطها أو عدم التشدّد كثيرا في فرض العقوبات، يمكن أن يخففا من حدة الأزمة القائمة حاليا. إلا أن واشنطن وجهت للتو إشارات معاكسة تماما عندما اتخذت إجراءات عقابية بحق شركة صينية متهمة بمواصلة شراء النفط الإيراني، وهذا ما يدفع إليه دعاة التشدد الأقصى بوجه إيران داخل إدارة ترامب.

من جهتها تعتبر مجموعة الأزمات الدولية أن "إستراتيجية ترامب بفرض الضغوط القصوى على إيران لم ينتج عنها حتى الآن سوى ارتفاع المخاطر إلى الحد الأقصى وتحقيق الحد الأدنى من النتائج". أمام هذه الوقائع يواصل العديد من المراقبين التساؤل عن الهدف الذي يريد دونالد ترامب تحقيقه، خاصة وأنه سمح للسناتور الجمهوري راند بول بالاتصال بوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف. وهل سيمهد هذا الأمر للتوصل إلى "اتفاق جديد" مع إيران وهو التعبير الذي يستخدمه ترامب؟

تقول سوزان مالوني إن ترامب يعتقد ذلك "لكنه واهم جدا إذا كان يعتقد أنه سيكون من السهل التوصل إلى اتفاق حول أمور شديدة التعقيد". أما جواب باربرا سلافين فهو قاطع "الأمور سائرة نحو الفشل".

لكن، هل يكون الهدف ربما زيادة الضغوط بشكل متواصل لإضعاف النظام وربما إسقاطه كما يأمل بعض صقور إدارة ترامب؟

قد يكون بإمكان الولايات المتحدة تشديد العقوبات ضد الشركات الأجنبية التي تواصل الاتجار مع طهران، وتشديد الضغوط على البرنامج النووي المدني الإيراني الشرعي، وربما زيادة الضغوط على بعض الشخصيات مثل محمد جواد ظريف مثلا. لكن كثيرين يعتبرون أن ذروة العقوبات تحققت مع إنهاء الاستثناءات بشأن بيع النفط الإيراني.

وفي هذا الصدد تقول باربرا سلافين "لم يعد هناك الكثير من المجالات على الصعيد الاقتصادي".

وختمت سلافين بالقول "إذا كان الهدف الوحيد هو إضعاف إيران والقضاء على الاتفاق النووي، فسيعني ذلك تصرف إيران أكثر فأكثر كدولة مارقة".

ولتخفيف الضغط على الموارد الأميركية، حاول البيت الأبيض حشد دعم حلفائه الإقليميين والعالميين الذين تهدد الهجمات الإيرانية إمداداتهم النفطية. لكن ذلك لن يكون سهلا، حيث تسببت إجراءات واشنطن الصارمة تجاه إيران خلال العام الماضي في نفور بعض شركائها الأقرب إليها. ومع ذلك، وحتى لو تمكنت الولايات المتحدة من إنشاء هذا التحالف، لن يكون ذلك كافيا لإبطال سيناريو المواجهة.

ويذكّر الخبراء بعمليّة إيرنست ويل التي أطلقها الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان، سنة 1987، خلال الحرب العراقية الإيرانية. في تلك الفترة استهدفت إيران عددا كبيرا من ناقلات النفط الكويتية وغيرها من دول الخليج التي ساعدت في نقل النفط العراقي. وسرعان ما تصاعدت الهجمات مما دفع الولايات المتحدة إلى التدخل نتيجة لتهديد وارداتها النفطية.

كانت عمليّة إيرنست ويل أكبر عملية بحرية في العالم منذ الحرب العالمية الثانية، حيث نشرت واشنطن العشرات من السفن والطائرات الحربية في الخليج، ورفعت ناقلات النفط الكويتية علم الولايات المتحدة أين سهرت قوات البحرية الأميركية على حمايتها.

وعلى الرغم من حجمه وقوته، لم يتمكن الأسطول الأميركي من منع إيران من مهاجمة العراق وناقلات النفط التابعة لحلفائها عبر ألغام بحرية وزوارق سريعة وصواريخ كروز مضادة للسفن.

وأدى ذلك في النهاية إلى سلسلة من الاشتباكات بين القوات الأميركية والإيرانية، بلغت ذروتها مع عملية فرس النبي وهو هجوم شنته القوات المسلحة الأميركية داخل المياه الإقليمية الإيرانية سنة 1988. وانتهت الحرب بين إيران والعراق بعد ذلك بأشهر.

ما هي النقاط التي تتكرر اليوم

يستخلص خبراء في مركز ستراتفور الأميركي العديد من الدروس المهمة عبر مقارنة ما حدث في الثمانينات بما حدث مؤخرا.

● أولا، لا يضمن البرنامج أن إيران ستنهي (أو تقلل) هجماتها على ناقلات النفط التي تشق طريقها عبر مياه الخليج. وتعدّ هذه النقطة أبرز في هذه الفترة مما كانت عليه خلال حرب الخليج الأولى نظرا لانتشار الأهداف المحتملة في المنطقة دون عدد كاف من المرافقين لحمايتها كلّها.

دوران في حلقة مفرغة

● ثانيا، كان الدافع وراء الهجمات الإيرانية في الثمانينات مرتبطا بأزمة أعمق وهي الحرب المستمرة مع العراق.

في المقابل، تعكس الهجمات الأخيرة التي تعرضت لها ناقلات النفط حالة من القلق العميق في إيران مع تراكم العقوبات الاقتصادية الشديدة التي فرضتها واشنطن عليها. ولم يعد لطهران الكثير لتخسره، حيث جعل وضعها المالي المتدهور حكومتها أكثر استعدادا لشن عمليات محفوفة بالمخاطر.

بالإضافة إلى أوجه التشابه المذكورة، يجب تحديد كل ما تغير بين الأمس واليوم. ويبرز التحول في واردات النفط من المنطقة على مدار الأربعين عاما المنقضية كأهم العوامل. خلال الحرب بين إيران والعراق، كانت الدول الأوروبية والولايات المتحدة من بين كبار مشتري النفط الخليجي. لكن، تحول هذا الاعتماد نحو دول الهند والمحيط الهادئ، بما في ذلك شركاء الولايات المتحدة الرئيسيين مثل الهند وكوريا الجنوبية، وخصومها مثل الصين.

إلى جانب هذه الديناميكية المتغيرة، يذكر نهج إدارة ترامب المختلف بشأن كيفية التعامل مع تهديدات الأمن القومي. على عكس ريغان الأكثر تشددا مع إيران، أعطى ترامب الأولوية لجهود خفض التزامات الولايات المتحدة الأمنية خارج حدود بلاده. كما لا يبدي رغبة في تحمل أعباء الموارد العسكرية اللازمة لتأمين حركة ناقلات النفط في الخليج.

نتيجة لذلك، يضغط البيت الأبيض على حلفائه في الخليج وعلى الدول التي تستورد النفط في المنطقة (مثل اليابان وكوريا الجنوبية والهند والدول الأوروبية) للمساهمة بنسبة أكبر في برنامج حماية الناقلات، وتردد هذه الدول التي يرتبط البعض منها بعلاقات مع إيران، يعطي هذه الأخيرة الدافع نحو المزيد من الاستفزاز والتصعيد.

حل أولي لمشكلة أعمق

لا يعد حجم العملية جوهر القضية، بل تكمن المشكلة الحقيقة في هدف هذه المبادرات المقتصر على "معالجة الأعراض وتجاهل أسباب العدوان الإيراني الجذرية".

ويقول الخبراء في ستراتفور إن إيران تسعى إلى مواصلة الانتقام مما تعتبره جهودا أميركية لتغيير النظام وإضعاف البلاد، واختارت الخليج وغيره من المسارح الأخرى في الشرق الأوسط للرد على هذا الطرف الغربي.

لذلك، كلما استمرت الولايات المتحدة في زيادة الضغط على طهران زاد خطر تصاعد التوترات إلى صراع مباشر (سواء كان هذا "حادثا" آخر في الخليج، أو صراعا في مكان آخر من المنطقة، أو مواجهة مرتبطة ببرنامج إيران النووي)، وبالتالي فإن الأمور في النهاية ستحتاج إلى تحديد هذا الخيار أو ذاك، وهو أمر قد يكون مرتبطا بالانتخابات الأميركية القادمة أكثر حتى من ارتباطه بالتهديدات الإيرانية نفسها.

سياسة العقوبات الأقصى على إيران تعود بنتائج عكسية: الطبقة المتوسطة تدفع الثمن والمتشددون يعززون مواقعهم

كارين لوب – محمد الناصري

طهران - تعودت ربة البيت مريم العدادي على حياة مريحة رغم انتمائها إلى الطبقة الوسطى. كان زوجها الميكانيكي قادرا على تحمل تكلفة استئجار شقة واسعة في أحد الأحياء المركزية بطهران، وكانا يمتلكان سيارة ويستطيعان زيارة المطاعم بانتظام وأن يرفها عن نفسيهما عبر تنظيم رحلات خارج البلاد.

اليوم، تعيش مريم (35 عاما) تغييرا في نمط حياتها. وأصبحت أسرتها تعاني من ضائقة مالية. ومثل معظم الإيرانيين، تضررت الأسرة من انهيار العملة الإيرانية وتسارع التضخم وتضاؤل الأجور. ونتجت هذه العوامل عن العقوبات الأميركية.

ومن التغييرات التي ساهمت في تدهور الطبقة الوسطى في إيران الارتفاع الحاد في أسعار المساكن، حيث تضاعفت خلال سنة واحدة. ولم يعد بعض المستأجرين قادرين على تحمل كلفة شققهم، وأصبحت ملكية المنازل حلما بعيد المنال بالنسبة لمعظم الإيرانيين.

باعت عائلة مريم سيارتها، واقترضت من العائلة والأصدقاء لشراء شقة أصغر في منطقة من ضواحي طهران، وهي أقل فخامة مقارنة بمسكنها السابق. وقالت والدة مريم، شهلا اللهفردي، البالغة من العمر 58 عاما، إن إيران تمر بـ"أصعب فترة على الإطلاق"، حيث كانت حاضرة خلال تاريخ الجمهورية الإسلامية.

وتسببت المواجهة بين واشنطن وطهران في قلب حياة الإيرانيين الذين أصبحوا يكافحون لتوفير حاجياتهم الأساسية.

استعارت عروس فستان زفاف لأنها لم تستطع شراء أو حتى استئجار واحد. وازداد عدد المتزوجين الجدد الذين يسكنون مع عائلاتهم لتوفير المال. وتراكمت طلبات التأشيرات في السفارات الأجنبية، حيث يتوق الشباب الإيراني إلى البحث عن فرص جديدة بعيدا عن العقوبات.

يتساءل البعض عن السقف الذي ترغب واشنطن في دفع حملة "أقصى قدر من الضغط" نحوه. وتقول إدارة ترامب إن العقوبات تهدف إلى دفع إيران إلى إعادة التفاوض بشأن الاتفاق النووي الذي يعرض تخفيف العقوبات مقابل فرض قيود على برنامجها النووي.

الوضع يزداد سوءا

ويقول البعض إن تصرفات واشنطن عززت موقف الحرس الثوري وغيره من المتشددين على حساب الرئيس حسن روحاني الذي كان أبرز داعم للاتفاق النووي. وقالت الباحثة في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، إيلي غيرانمايه، إن الحرس الثوري أصبح قادرا على تعزيز دوره تحت ستار الأمن.

على الرغم من الاضطرابات الاقتصادية، لم تشهد البلاد سوى احتجاجات متقطعة.

وقال المحلل السياسي في الشؤون الإيرانية ورئيس مركز كاربو في ألمانيا، عدنان طباطبائي، إنه يعتقد أن الإيرانيين "يترددون في نقل مظالمهم إلى الشارع" في الوقت الراهن خوفا من التسبب في المزيد من الفوضى وخشية رد السلطات.

وقال علي دادباي،-وهو أستاذ مختص في الشؤون المالية بجامعة دالاس، إن العقوبات الأميركية أثبتت أنها مدمرة للطبقة الوسطى الكبيرة في إيران. وأضاف "هذه هي الطبقة التي تعتمد على الاقتصاد العالمي ومهارات أفرادها الذين يكسب معظمهم دخلا ثابتا".

يمكن أن يشكّل الانكماش الاقتصادي السياسة الإيرانية المحلية، وتحولت الانتخابات البرلمانية في فبراير إلى اختبار أولي. عادة ما يفضل الناخبون من الطبقة الوسطى المرشحين الإصلاحيين، لكنهم قد يفوتون التصويت بسبب غياب البدائل والخيارات المتاحة، مما يعزز مواقع المتشددين.

> الإيرانيون يترددون في نقل مظالمهم إلى الشارع في الوقت الراهن خوفا من المزيد من الفوضى

يرتبط السياسيون المؤيدون للإصلاح الذين يفضلون انفتاحا أكبر على الغرب ارتباطا وثيقا بالاتفاق النووي.

وقالت إيلي غيرانمايه "مع تعثر الصفقة، أصبح المتشددون (بمن فيهم الحرس الثوري) أكثر رسوخا في الساحة السياسية الإيرانية". وتتوقع أن الحرس الثوري "سيصبح قوة لا يستهان بها خلال السنوات القادمة".